

الضبط الاجتماعي في الاسرة الحضرية

أ.م. د. رباح مجيد الهيتي

Social Control in Urban Households

Dr. Rabah Majeed Al-Hiti

جامعة الانبار – كلية الاداب – قسم علم الاجتماع

البريد الالكتروني : rabah19662003@yahoo.com

موبايل: 07822776133

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
٤-٣	• الملخص
٤	• المقدمة
٦-٥	أولاً: أبعاد البحث والمفاهيم
٥	١ - أبعاد البحث
٦	٢ - المفاهيم
٧	ثانياً: التفسير العلمي النظري لموضوع البحث
٧	١ - نظرية المصلحة
٧	٢ - نظرية تطور وسائل الضبط الاجتماعي
٧	٣ - النظرية البنائية الوظيفية
٩-٨	مناقشة النظريات العلمية لموضوع البحث
١٠-٩	ثالثاً: الاسرة والحياة الحضرية
١٠-٩	١ - وظائف الاسرة الحضرية
١٠-٩	٢ - خصائص الحياة الحضرية
١٤-١١	الاسرة الحضرية وضعف الضوابط العرفية
١٤-١١	رابعاً: تحديات تواجه الضبط الاسري الحضري
١٢-١١	١ - اساليب التربية المعاصرة
١٣-١٢	٢ - وسائل الاتصال المعاصرة
١٤-١٣	٣ - الانهماك في العمل
١٦-١٤	خامساً: الاستنتاجات والمقترحات
١٥-١٤	• الاستنتاجات
١٦	• المقترحات
١٧	• مصادر البحث

الكلمات المفتاحية: الضبط الاجتماعي ، الاسرة الحضرية ، الحياة الحضرية .

ملخص الضبط الاجتماعي في الاسرة الحضرية

ركزت هذه الدراسة على بعض التحديات المصاحبة لعملية التحضر وانعكاساتها على الضبط الاسري لما لهذه التحديات من اهمية بالغة غيرت واثرت في بناء الاسرة الحضرية وعملية التفاعل الاسري التي باتت واضحة مع تعقد الحياة الحضرية مما اضعفت الاسرة الحضرية الكثير من وسائل ضبطها وتنظيمها وولائها حتى افقدت الاسرة توازنها ونتج عنها بعض الاختلالات الوظيفية الضبطية التي كانت ملقاة على عاتق الابوين والمجتمع المحلي فأصبحت الاستقلالية التامة سمة بارزة في البناء الاسري الحضري مما افقدها ضوابطها الاسرية المعتادة وكلما تطورت وتعددت الحياة الحضرية صاحبها زيادة في المتغيرات والتحديات المكتسبة لتغير من عملية الضبط الاسري باتجاه الفردانية والاستقلالية وضعف الروابط والضوابط الاسرية والاجتماعية وفق المعادلة التالية:

حضرية ————— متغيرات وتعقيدات حياتية جديدة ————— ضعف الضوابط الاسرية

Social Control in Urban Households

By:

Dr. Rabah Majeed Al-Hiti

Abstract:

This study focuses on some accompanied challenges the urbanisation process and its reflections on the domestic control among the family. These challenges are influential in forming the urban household and its interaction. On the contrary, household will be much suffering from dis cohesion and renouncement of its roles. Therefore and as we believe that parents should take their responsibility to keep the family values. Due to the dramatic changes and new challenges, there are some new social attitudes like; individualism, independence, and weakness in relationships can affect the social control among the family and as the following perspective:

- Urban
- Life variables and challenges
- Weakness of the family values

المقدمة:

تمثل الحضرية عملية اجتماعية مستمرة ومتنامية تميل الى التشابك والتعقيد كلما ازادت عملية التطور والتقدم الاجتماعي والثقافي والتكنولوجي، كما وتمثل الاسرة ظاهرة اجتماعية مستمرة ودائمة يكاد لا يخلو منها اي مجتمع بشري لذلك تمتاز الاسرة ببناء اجتماعي يحفظ لها استمرار تفاعلاتها وعلاقاتها إلا ان هذا البناء بدأ يتغير ويتطور ويتنازل ويفقد بعض وظائفه الاسرية ومن اهم الوظائف الاسرية التي بات يتنازل عنها بشكل تدريجي لمؤسسات اجتماعية اخرى خارج نطاق الاسرة ويفقد ميزاتها هي وظيفة الضبط الاسري الذي كان ركيزة اساسية في البناء الاسري من اجل تنظيمها وسلامتها هذا الضبط بات يترنح و يفقد توازنه نتيجة التطورات المستمرة للحياة الحضرية التي تشابكت وتعقدت ثقافتها ونمط حياتها الذي غالباً يميل الى العقلانية والفردانية والانانية والثقافة الاستهلاكية متزامنة مع التطورات والتقدم التكنولوجي الكبير لوسائل الاتصال وتدفق المعلومات وما يسمى (العولمة).

هذه التطورات المستمرة للحياة الحضرية جعلت الاسرة الحضرية تفقد وظائفها وصفاتها التقليدية المحصورة في ثقافة المجتمع المحلي التي كانت وسائل ضبطها تركز على الاعراف الاجتماعية والدين ورأي الناس وغيرها...، إلا ان هذا التطور والتعقيد في نمط الحياة الحضرية وهذه الاستقلالية والخصوصية والعقلانية التي لازمت الاسرة الحضرية جعلها تبتعد عن الثقافة المحلية مقتربة من الاختراق الثقافي والاستقلالية التامة مما افقدها اطرها المحلية لتنتمي للأطر الافتراضية وقد ركز بحثنا هذا على التحديات في غاية الاهمية في نظر الباحث والتي اتسمت بها الحياة الحضرية وانعكست بالتالي على الضبط الاجتماعي الاسري والتي تتمثل في اساليب التربية المعاصرة في الاسرة الحضرية التي غالباً ما تميل للأسرة النووية وكذلك تطور وسائل الاتصال المعاصرة واختراقها للأسرة ومن ثم الانهماك في العمل الذي بات مطلباً لا بد منه على الرغم من ثقل كاهله الا انه المصدر المهم لتوفير متطلبات الحياة الاسرية الحضرية الاستهلاكية المعاصرة هذه المؤشرات والتحديات اثقلت كاهل الاسرة مما جعلتها تفقد ضوابطها الاسرية والتي نتج عنها انحرافات اسرية وفشل دراسي وامراض اجتماعية ونفسية.

أولاً : ابعاد البحث والمفاهيم

١ - ابعاد البحث

أ - مشكلة البحث:

تحدد المشكلة عندما تكون تأثيراتها على البناء الاجتماعي (Social Structural) بارزة وهذا ينطبق على موضوع البحث حيث يرى الباحث ان الضبط الاسري في المجتمع الحضري يمر بحالات من التراخي والضعف ويتجه الى الخصوصية فضلاً عن ان المجتمع الحضري له اساليبه الخاصة في الضبط الاسري ولاسيما ان الاسرة الحضرية هي اسرة صغيرة لها خصوصياتها وهويتها وعادة ما تعرف بالأسرة الزوجية او الاسرة النووية هذه الاساليب غالباً ما تعتمد على الاقناع والفهم وربما على الالزام والاجبار بشكل مؤقت، هذه الاساليب الحضرية تشابكت معها بعض التحديات اهمها اساليب التربية الحديثة والانفتاح على وسائل الاتصالات الحديثة بأنواعها والانهماك في العمل نتيجة ضعف الحياة الحضرية وشيوع ثقافة الاستهلاك التي باتت مصادر مهمة في الحياة اليومية للأسرة الحضرية مما ساهم هذا التشابك على تراخي واضعاف الضبط الاسري في المجتمع الحضري مما اربك حياة الاسرة ونتاج عنه مشاكل تربوية مثل تجاوزات ادوار الابناء على ادوار الاء والتضارب في الحياة الواقعية والحياة المثالية للأسرة مما ادى الى ضعف ضبط الاسرة كما نتج عن ذلك مشاكل اسرية تتعلق بالحياة الاسرية كأخذ القرار داخل الاسرة او تحديد مستقبل الابناء وغيرها. فالواقع يميل الى تعقد الحياة والانخراط بشكل جدي مع الواقع على ايجابياته وسلبياته بينما تميل الحياة المثالية في تعليم الابناء ورسم صورة في الاسرة على اساس الخصوصية التامة في نمط الحياة والانفتاح على العالم و تقليد انماط معيشية ربما تكون غريبة عن المجتمع ولا سيما بعد تأثير وسائل الاتصال المعاصرة مما حصل صراع بين تطلعات الابناء وربما الزوجات او الأزواج وبين الرواسب التربوية القديمة التي عاشها الاء فضلاً عن زحمة الحياة في المدينة وسيادة ثقافة الاستهلاك في الاسرة مما جعل الانهماك في العمل ضرورة ملحة من اجل توفير وسائل وخدمات الراحة المتزايدة للأسرة الحديثة لا يمكن التعامل معها الا وفق مفاهيم حديثة تتخذ من ثقافة الحوار الاسري والتفاهم اساساً لها لبناء الثقة المتبادلة بين اعضاء الاسرة

علماً أن التربية الأسرية الحديثة تجعل الفرد انساناً واعياً مدركاً لحقوقه وواجباته وهذا مما قد يصعب المهمة الضبطية للأسرة.

هذه الأساليب التربوية الحديثة المرنة ربما تساهم أيضاً في تراجع دور الضوابط الأسرية التقليدية القديمة المعتمدة على الاعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد الاجتماعية والدين مما تخلق فجوة بين الانماط التقليدية التي تربي عليها الوالدان والتي قد تعتمد حتى على العنف بجميع انواعه الجسدية والمعنوية وكما كان شائعاً (العصا لمن عصا) والانماط الحديثة في اساليب التربية التي نشأ عليها الجيل الجديد من الابناء التي تعتمد على الفهم والاقناع وبروز الانانية والفردية هذه الفجوة قد تسبب عدم التوازن الاسري.

ب - أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على الثقافة الأسرية الضبطية في المجتمع الحضري وما يكتنفها من مصاعب حياتية تضغط على الاطار العام للضبط الاجتماعي التقليدي. وبيان أهمية الضبط الاجتماعي الاسري بمفاهيمه الحديثة المبنية على الاقناع والفهم وربما القفز او الالهال المقصود او غير المقصود للثوابت الأسرية الضبطية التقليدية مما قد يخلق فجوة او معوقات وظيفية في الضبط الاسري واضعافه قد ينتج عنه عنف وصراع وانحراف اجتماعي مما يمنع الاسرة من ان تتمتع بدرجة عالية من التماسك والتضامن الاجتماعي بين اعضائها على الرغم من تفاعل الاسرة مع المتغيرات والتحديات الحضرية المعاصرة.

ج - هدف البحث:

يهدف بحثنا الى جذب الانتباه ومحاولة الكشف عن الصعوبات التي تواجهها الاسرة الحضرية في ضبط ابناءها مما قد يخلق مشاكل اسرية غير مقصودة.

٢ - مفاهيم البحث

• الضبط الاجتماعي (Social Control) :

يرى عالم الاجتماع الأمريكي بريولي (H.G.Brearley) إن الضبط الاجتماعي هو عمليات مخططة او غير مخططة التي يستعين فيها المجتمع لضبط افراده عن طريق التعليم او الاقناع او حتى اجبارهم على التماثل مع معايير وقيم الحياة السائدة في المجتمع- تناولت المشكلة البحثية نفسها^(١). وقد يكون الضبط سلبياً أي الاعتماد على العقاب وعلى التهديد بالعقاب او يكون ايجابياً يعتمد على رغبة ودافعية الفرد نحو التوافق ومسايرة المجتمع وابتهاج هذا النوع من الضبط وسائل تعزيز المكافآت المادية والمعنوية ويعتمد الضبط الاجتماعي الايجابي على قدرة الفرد في الاندماج للمعايير والقيم الاجتماعية وعلى التوقعات السلوكية المعتمدة على التنشئة الاجتماعية وقد يعتمد هذا النوع من الضبط على العقاب ايضاً^(٢).

• الاسرة (Family) :

يرى عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركهايم ان الجماعة التي تربط بين اعضائها صلة الدم ويتفقون على العيش سوية من دون ان يرتبط بعضهم بالآخر بالتزامات محددة ويستطيع أي عضو ان يترك الجماعة كما يرغب وفي أي وقت يشاء لا يمكن ان يطلق على مثل هذه الجماعة اسم الاسرة. فالعيش في بيت واحد ليس شرطاً كافياً في تكوين الاسرة وكذلك رابطة الدم لا تكفي هي الاخرى. اذ ان الاطفال غير الشرعيين لا يدخلون ضمن الاسرة لذلك يجب ان تتوافر شروطاً اخرى لوجود الاسرة وهذه الشروط هي تحديد الحقوق والواجبات التي يقرها ويعترف بها المجتمع. ان تحديد ادوار ومكانات كل عضو تجاه الاخر. يعني وجود الاسرة مرتبط بوجود نظاماً اجتماعياً يحدد الرابطة والصلة بين اعضائها وهذه الصلة

(١) د. احمد ابوزيد، البناء الاجتماعي- مدخل لدراسة المجتمع- الانساق، ٢، مطبعة م.ك، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص٢٤٠.

(٢) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ص٧٣.

قانونية واخلاقية واجتماعية في الوقت ذاته وهي خاضعة لرقابة المجتمع. وتعرف الاسرة على انها وحدة اجتماعية غايتها الحفاظ على النوع الانساني وتمثل العقل الجمعي وتمثل القواعد التي تحدها المجتمعات المختلفة. وهناك من يرى ان الاسرة تجد اصلها في نظام الزواج وهو الاتحاد الشرعي او القانوني بين الرجل والمرأة ذلك النظام يؤسس الاسرة ومن وظائفها الانجاب والعناية بالأولاد وتنشئتهم اجتماعياً ومن خلال الزواج يكتسب الاعضاء مجموعة من المكانات والادوار الاجتماعية فالزوج يكتسب دور الاب والزوجة تكتسب دور الام وهكذا وتعرف الاسرة الممتدة عندما تتضمن الزوج والزوجة واولادهما كما تضم المتزوجين منهم وصغارهم. وحياناً تضيق حتى لا تتجاوز نطاق الاب والام واولادهما الصغار فتعرف بالاسرة النووية^(٣) والاسرة هي منظمة اجتماعية تضم افراد يشتركون بروابط دموية روحية واخلاقية واجتماعية ويعرفها (او كبرن ونيمكوف) بانها منظمة تتسم بالديمومة والاستمرارية بشكل نسبي وتتكون من الزوج والزوجة والاطفال او بدونهم او تتكون من رجل وامرأة ومن الضروري وجود الابناء. وتتميز الاسرة في المجتمع الحضري بميلها الى للاسرة النووية Nuclear Family او شبه النووية او ما تسمى بالاسرة الزوجية أو البسيطة Simple Family حسب ما يرى وسترمارك التي تتضمن غالباً الاب والام والاطفال الصغار وتعد نفسها وحدة مستقلة عن باقي وحدات المجتمع المحلي وتتصف هذه الاسرة بصغر حجمها والعلاقات الاجتماعية القوية بين الزوجين وابنائهم واسيما عندما يكون الابناء صغاراً. لكن هذه العلاقات تبدأ تتخلل وتضعف بعد نضج الابناء الذين غالباً ما يتأثرون بالجماعات الخارجية التي يتفاعلون معها في حياتهم اليومية^(٤).

• المجتمع الحضري (Urban Society) :

تعد ظواهر المجتمع الحضري نمطاً متميزاً وتطورياً لنمط الحياة الاجتماعية التقليدية (البديوية- الريفية)، فهي نتاج لتطورات مجتمعية مستمرة ومعقدة وقد ميزها علماء الاجتماع بخصائص ومن هؤلاء العلماء (ريد فيلد) الذي يميز المجتمع الحضري باللاتجانس والتباين ووجود نمط تقسيم العمل وزيادة الاعمال التكنولوجية واختلاف وتباين الانماط السلوكية وتتميز العلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع بانها ثانوية مبنية على اساس المصلحة والتعاقد ووقتيية ولا تقوم على العلاقات الودية الحميمة وتضعف فيه روابط القرابة والجوار ويتميز الضبط الاجتماعي في المجتمع الحضري بانه ضابطاً رسمياً يرتكز على القانون ولا يهتم بالضوابط المعرفية التقليدية غير الرسمية ويتصف سلوك افراد بالعلانية اكثر مما هو تلقائي ويزداد في هذا المجتمع التنافس والصراع وتتسم الروابط الاجتماعية بانها ضعيفة لانها غير مباشرة. وقد وصف (لويس ويرث) المجتمع الحضري في مقولته المشهورة (الحضرية كأسلوب للحياة) بانه مجتمع غير متجانس ومتباين في الانماط السلوكية فهو يتصف بزيادة الكثافة السكانية العالية وتكون العلاقات الاجتماعية تعاقدية لا شخصية وغير حميمة تعتمد على المصالح الذاتية وتضعف وتترهل العلاقات القرابية وتخفي علاقات الجيرة ويكون الضبط الاجتماعي ضابطاً رسمياً يعتمد على مؤسسات المنظمات الرسمية والقانون ولا يعترف بالضوابط التقليدية العرفية^(٥).

ثانياً: التفسير العلمي النظري لموضوع البحث

النظرية العلمية تمثل الاساس لجميع حيثيات المعرفة الانسانية وهي اساس تفسير وشرح الحياة اليومية والظواهر العلمية لذلك لا بد من وجود نظرية علمية ترشد الباحث والباحث في عملية التفسير العلمي لموضوع البحث، علماً ان للموضوع عدة نظريات علمية جاء بها التراث السوسيولوجي الا اننا سوف نسترشد بالنظريات التي تكون اكثر تلاماً مع البحث وسوف نركز على ثلاثة نظريات هي الاقرب الى طبيعة البحث واتجاهاته والنظريات هي: نظرية المصلحة ونظرية تطور وسائل الضبط الاجتماعي والنظرية البنائية الوظيفية.

١ - نظرية المصلحة:

ترى هذه النظرية وجود اتجاهين متعارضين في تفسير النظام الاجتماعي: الاتجاه الاول يفسر النظام الاجتماعي بشكل عام بوصفه ناتجاً عن العقد الاجتماعي بين الناس الذين يجدون فيه مصالحهم^(٦). وينتج على اثر ذلك الفائدة او

(٣) ذكرى جميل محمد حسن البناء، العائلة والامن الاجتماعي- دراسة ميدانية في مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قدمت المجلس الى مجلس كلية الاداب- جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص١٢.

(٤) د. احسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن- عمان، ٢٠٠٩، ص٤٤-٤٥.

(٥) د. عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار اسامة ودار المشرق الثقافي، عمان- الاردن، ٢٠١٠، ص٤٢٢-٤٢٣.

(٦) د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٦٨.

المنفعة للمجتمع بشكل عام فهذا التعاقد يضمن للجميع مصالحهم اذ لا يستطيع الناس ان يصلوا الى مصالحهم وغاياتهم بدون التعاقد، فهذا العقد الاجتماعي يستطيع ان ينظم حقوق وواجبات الناس وفقاً للضوابط المفروضة ووفقاً للقيم الملزمة.^(٧) اما الاتجاه الثاني فقد يرى ان النظام الاجتماعي ظهر بوصفه نتيجة غير مقصودة لسلوك الاكثريّة من الناس والذين يتصرفون وفقاً لمصالحهم بطريقة مستقلة.^(٨)

٢ - نظرية تطور وسائل الضبط الاجتماعي:

ترى هذه النظرية ومن خلال ما يراه (ادوارد روس - Ross) ان النفس البشرية فيها اربعة غرائز وهي:

- ١ - المشاركة او التعاطف.
- ٢ - القابلية للاجتماع.
- ٣ - الاحساس بالعدالة.
- ٤ - رد الفعل الفردي.

تشكل هذه الغرائز نظاماً اجتماعياً للإنسان يقوم على تبادل العلاقات بين افراد المجتمع بشكل ودي ولكن تضعف هذه الغرائز كلما تطور المجتمع لتظهر سيطرة المصلحة الذاتية عليه مما يؤدي الى اضطراب المجتمع بوضع ضوابط مصطنعة تضبط العلاقات بين افرادها وتسيطر عليهم وتزداد هذه الضوابط وتتطور كلما ازداد تطور المجتمع وتعمقت انظمتها ومؤسساته وظهر التباين بين افراده وجماعته وهذا يعني وجود اسباب اوجدت الحاجة الى الضبط الاجتماعي وتطور وسائله وهي:

- ٥ - زيادة حجم السكان وظهور جماعات وطوائف جديدة.
- ٦ - ضعف الغرائز الطبيعية وظهور وارتفاع الانانية الفردية.
- ٧ - وجود جماعات متباينة وغير متجانسة ثقافياً واقتصادياً وطبقياً وعنصرياً في المجتمع الواحد.^(٩)

٣ - النظرية البنائية الوظيفية:

ترى هذه النظرية ان مكونات البناء الاجتماعي لها دور في الضبط الاجتماعي اذ يرى (لانديز Landis) ان توازن الوظائف بين النظم الاجتماعية وعلاقة هذه النظم بعملية الضبط الاجتماعي بتصوره ان النظم الاجتماعية تسير وفق خط متصل يمثل التفكك الاجتماعي احد طرفيه والذي تسوده الفوضى والنزاعات والصراعات الفردية بينما يمثل الطرف الاخر التنظيم الاجتماعي المنضبط والاكثر صرامة والذي يتميز بالاعتماد على السلطة وبين هذين الطرفين توجد منطقة للتسامح^(١٠)

(٧) د. قباري محمد اسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، مطبعة الكاتب المصري، الاسكندرية، بدون سنة طبع، ص ٣٤.
(٨) د. سامية محمد جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، دار بورسعيد للطباعة، ١٩٨٤، ص ٢٦٨.
(٩) د. عبدالعاطي فرج علي، الضبط الاجتماعي - دراسة في سوسولوجيا المفهوم، مجلة العلوم الاجتماعية - مجلة الكترونية، الدخول ٢ مارس ٢٠١٥، على الموقع الاتي: www.swmsa.net
(١٠) المصدر نفسه.

مناقشة النظريات العلمية لموضوع البحث:

١ - نظرية المصلحة:

على الرغم من ان هذه النظرية تتلائم وموضوع البحث حيث ان المصالح والعقلانية والفردية هي التي تسود حياة المجتمع الحضري بما فيه الاسرة اذ بات كل شخص في الاسرة له كيانه ومصالحه الخاصة المستقلة والتي عززتها التربية الحديثة ووسائل الاتصال المعاصرة والانهماك في الحياة على حساب الاسرة الا (اننا نرى) ان عملية توافق المصالح ليست كافية بحد ذاتها لأقامة وتدعيم نظام الاسرة ولكن تعد ضرورة لازمة. (١١)

في مثل هذه الحياة الحضرية المعقدة لأنها تعطي شرطاً ضرورياً لحفظ النظام وضبط سلوكه حتى وان كان مبنياً على شروط المصلحة او المصالح المتباينة او المتفقة، لكن الالتزام بمعايير هذه المصالح ليست كافية لتغيير الضبط الاسري. فالمجتمع والاسرة بالطبع تحتاج في بعض الظروف الى المصلحة والتعاقد بين افرادها لكي يتحقق الاتفاق والضبط لكن المشكلة او عدم الالتزام وضعف هذا الضبط يظهر واضحاً عندما تختفي المصالح بين الافراد لذلك يضعف وينتهي الضبط بانتهاء التأثير الذي تمتلكه المصلحة القائمة بين الافراد وبذلك تكون هذه الطريقة والوسيلة بالضبط قصيرة ومحدودة وملزمة بالمصلحة التي جاءت من اجلها فبانتهاء المصلحة ينتهي الضبط المرافق لها، وهذه احد ابرز سمات المجتمع الحضري حتى وان كان مع الاسرة.

٢ - نظرية تطور وسائل الضبط الاجتماعي:

يعتقد الكثير من الباحثين والمفكرين ان الانسان ذو طبيعة خيرة وكما تعتقد هذه النظرية حسبما ترى في الغرائز الاربع: المشاركة أو التعاطف، القابلية للاجتماع، الاحساس بالعدالة، رد الفعل الفردي. التي جاءت في تفسيرها الا ان الثابت علمياً ان المجتمع يتغير بصورة مستمرة و دائمة وان ردود فعل الانسان تتغير ايضاً وفق هذا التطور حتى يتم التوافق والتواكب مع الحياة العصرية فكل زمان ومكان له خصوصياته وطبيعة علاقاته ونظامه فالحياة الاجتماعية نسبية وليست ثابتة تحكمها قوانين مجردة لذلك وفقاً لما جاءت به هذه النظرية فان تطور المجتمع وتعبده وميله الى الحضرية يجعل هذه الغرائز تضعف وتقل فاعليتها وتبدل الى غرائز قد تكون مناقضة للطبيعة الخيرة التي يتصف بها الانسان لذلك نجد المشاركة او التعاطف والقابلية للاجتماع والاحساس بالعدالة ورد الفعل الفردي يتغير عضوياً فهي في علاقة عكسية مع التحضر والتطور الاجتماعي فتتحول المشاركة الى الفردانية والانانية والمصلحة والتعاطف الى التجرد والذاتية والقابلية للاجتماع تتحول وتتغير الى العزلة والاعترا ب والفردانية والاحساس بالعدالة يقل ويتحول الى المنافسة والصراع والظفر في المنافع الشخصية وبهذا تكون ايضاً هذه الطريقة في الضبط مؤقتة وتبدل ويغلب عليها المصالح وبذلك يضطر المجتمع وفقاً لهذا التطور ان يستحدث ويصنع وسائل ضبطية اكثر ملائمة لما اعتاد عليه وهذا يمثل حالة من التطور المستقيم فكما تعتقدت الحياة الحضرية قام المجتمع بتغيير وسائل ضبطه من اجل تنظيم علاقات المجتمع والتحكم فيها ويزداد هذا التعقيد والتطور كلما ارتفع معدل التحضر وسار المجتمع نحو التباين واللاتجانس في كثافته السكانية وتنوع مذهبهم وقومياتهم واصوله وزيادة متطلبات الحياة وتعدد وتنوع الاقتصاد والثقافة، لذلك نجد ان هذه النظرية اكثر ديناميكية وحضرية من نظرية المصلحة لانها قادرة على خلق وسائل ضبطية جديدة كلما ضعفت الوسائل الضبطية القديمة.

٣ - النظرية البنائية الوظيفية:

لا تختلف هذه النظرية عن النظريات السابقة لها الا انها اكثر التزاماً بالبناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية اذ تعطي هذه النظرية وكما يرى (لانديز) أهمية للتوازن الوظيفي بين مكونات المجتمع اذ تأخذ النظم الاجتماعية وظيفية الضبط الاجتماعي الا انه في (نظرنا) ان هذه النظرية وان بدت اكثر اتساقاً الا انها جامدة ثقافياً وقد تتناقض في محتوياتها (كما نرى) اذ ان النظم الاجتماعية ايضاً لا يمكن ان تكون ثابتة ومتسقة مع الوسائل الضبطية في المجتمع في كل زمان ومكان لان التغيير اهم سمات المجتمع ولا سيما الحضري والاسرة عنصر اساسي فيه.

(١١) د.سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، المصدر السابق، ص٧٣.

ولكن يظهر تفسير آخر اكثر ديناميكية في هذه النظرية عندما تحرك السلوك الاجتماعي وفقاً لخط مستمر يكون احد اطرافه التفكير والفوضى والنزاعات الفردية وهذا يعني ضعف او انهيار النظم الاجتماعية لأنه لم يستطع السيطرة والتوافق مع الوسائل الضبطية المعتادة وهذا يمثل التطور الحضري لكن في الجهة الثانية من الخط المستقيم لهذا التطور نجد الصرامة والسلطة المهيبة لوسائل الضبط على الرغم من وجود التسامح الاجتماعي. هذه النظرية قد تكون مقبولة اكثر من النظريات السابقة اذ اما اخذنا بنظر الاعتبار التطور الحضري الذي لا بد منه ودور النظم الاجتماعية التي هي بمثابة ركائز قوية لأي مجتمع لا يمكن اهمالها على الرغم من تبدلها وتقليص وظائفها الا انها باقية ولها ادوارها في كل زمان ومكان ومنها الدين على سبيل المثال وتعطي درجة التسامح في هذه النظرية مصدر قوة لها حتى لا تنهش النظم الاجتماعية وبنفس الوقت تأخذ دورها لكن بشكل اكثر مرونة وفقاً للتطور الحضري حتى يتلائم هذا التسامح مع التطورات الحضرية وتتلائم هذه الضوابط مع المجتمع الحضري والجميع يأخذ تطوره وسماته سواء التطور الحضري او ايجاد الضبط الاسري الحضري.

ثالثاً: الاسرة والحياة الحضرية:

تتميز الاسرة الحضرية بانها استهلاكية اكثر من كونها وحدة انتاجية وغالباً ما تميل الاسرة الحضرية الى سياسة تحديد النسل او تنظيم النسل أي قلة الولادات وتقليل الابناء. كما وتتميز هذه الاسرة بتأخير سن الزواج بسبب انشغال ابنائها بالدراسة والتعليم والطموحات الاجتماعية والاقتصادية الاخرى , كما وتتميز الاسرة الحضرية بالتنسيق بين المكانات والادوار الاجتماعية التي غالباً ما تكون متعادلة من حيث المسؤولية، كما ان الاب والام في الاسرة الحضرية غالباً ما يتخلون عن الاعراف والتقاليد الاجتماعية التي لا تتناسب و طموحاتهم ومصالحهم لذلك هم ميالون الى التحرر من بعض هذه الاعراف والتقاليد الاجتماعية الموجودة في المجتمع الريفي.

• وظائف الاسرة الحضرية:

لم تعد الاسرة الحضرية تتولى كل المهام والوظائف التي كانت ملقاة على الاسرة التقليدية او الممتدة فقد انسحبت او تخلت عن الكثير من الوظائف لصالح المؤسسات الحكومية او منظمات المجتمع المدني مثل: الوظيفة الصحية التي اسندت الى وزارة الصحة ومؤسساتها من مستشفيات ومراكز صحية. والوظيفة التعليمية التي استلمتها المدارس والجامعات والمعاهد والمؤسسة الدينية التي اهتمت بها دور العبادة من مساجد وجوامع وكنائس وغيرها. ووظيفة الدفاع التي اسندت الى وزارة الدفاع والداخلية بمؤسساتها كالشرطة والجيش والامن ,وباقى الوظائف الاخرى التي صارت من مهام المؤسسات والمنظمات الحكومية والمجتمع المدني الا انها احتفظت بأهم الوظائف والتي لا يمكن للاسرة ان تتخلى عنها لانها لا يمكن اجادة هذه الوظائف بصورة طبيعية ومستمرة , الا بواسطة الاسرة مثل وظيفة انجاب الاطفال الشرعيين والتنشئة الاجتماعية والاسرية. (١٢)

• خصائص الحياة الحضرية:

ان ما تتصف به الحياة الحضرية من خصائص تجعل اسلوب الحياة فيها يكشف لنا طبيعة البناء الاجتماعي والتنظيمات الاجتماعية السائدة فيها وبذلك يساعد على تحديد وتحليل طبيعة الضبط الاجتماعي وطبيعة الاسرة في المجتمع الحضري كما ويساعد على تشخيص التحديات التي تواجه الاسرة في عملية الضبط الاسري وما تواجهه من صعوبات تجعلها تتنازل عن الكثير من الاعراف والعادات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع المحلي الريفي وكيف تخضع الاسرة لهذه التحديات وتستجيب لها من اجل استمرار الحياة واعطاء صفة متميزة للاسرة الحضرية وتفاعلاتها الاجتماعية داخل وخارج الاسرة مما اعطاها ضبطاً اسرياً يختلف له خصائصه بحيث ينظر اليه من خارج المجتمع الحضري- الريفي- على انه ضبطاً ضعيفاً ومتخللاً وذلك للتنازلات التي اعطتها الاسرة لابنائها واعضائها من اجل استمرار الاسلوب

(١٢) د. احسان محمد الحسن، المصدر السابق، ص ١١٧.

الحضري والمتطور والمعقد باستمرار. وما يرتبط بهذا التطور من بناء اسري واقتصادي وترفيهي وتعليمي وغيرها. وبذلك تتسع ابعاد الحياة الحضرية وما يرتبط بها من تغير وتكيف مع الازمات الاجتماعية والثقافية المتغيرة في المجتمع الحضري وما تحمله تلك التغيرات من مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعي والتنظيم والتكيف و التوافق والتكامل وسوء التنظيم وصراع الاجيال وتصعد المعايير المحلية في المجتمع الحضري. وفي سياق تحديد خصائص الحياة الحضرية وما لها من ابعاد على الاسرة وطريقة الحياة والضبط الاجتماعي المميز لها يمكننا ان نعطي فكرة عن خصائص الحياة الحضرية حتى تتوضح ابعادها على الضبط الاجتماعي في الاسرة الحضرية ومن أهم هذه الخصائص هي:

١- الجماعات الثانوية:

يتسم أسلوب الحياة الحضرية بالتفاعل والاحتكاك الدائم والمستمر بالعديد من الجماعات البشرية خلال اليوم وذلك لكثرة المؤسسات الاجتماعية والحكومية والمنظمات الرسمية وغير الرسمية وبذلك يغلب على التفاعل الصفة الرسمية أي يقل الضغط الاجتماعي والعرفي للأسرة والجيران والاقارب ويبرز دور المنظمات الرسمية والجماعات الثانوية المسيرة من القانون كالشرطة والمحاكم وغيرها.

٢- الابهام او المجهولة:

من خصائص الحياة الحضرية ذوبان الشخصية في المجتمع وذلك لان التفاعل بين الناس ليس مباشراً فالشخص الذي يخرج من بيته يصادف في طريقه العديد من الناس الا انه يجهلهم ولا يتعرف على احد منهم وهذا الابهام يساعد على اضعاف فاعلية الضبط الاجتماعي.

٣- عدم التجانس:

يتصف المجتمع الحضري بخاصية عدم التجانس النسبي وذلك لاختلاف الثقافات والمهن وتعدد وجهات النظر الاقتصادية والسياسية والانتماءات الدينية والمذهبية فضلاً عن التمايز الاجتماعي الاقتصادي من مظاهر الغنى والفقير.

٤- الحراك الاجتماعي:

النقلة الاجتماعية من الخصائص المهمة في المجتمع الحضري وذلك لوجود عامل مهم وهو تعدد المهن وكيفية اكتسابها، فالتخصص الدقيق وتقسيم العمل على اساس التخصص والحصول على العمل والمهن بطريقة مكتسبة جعل الحراك الاجتماعي والنقلة الاجتماعية تتميز بانها متغيرة نسبياً وتكون بشكل عمودي (صاعد- نازل) اذ قد يصبح الغني فقيراً والفقير غنياً او ابن العامل والفلاح يكون طبيباً او مهندساً والعكس. وكذلك التميز في الانتقالات الواضحة من مكان الى اخر في الإقامة.

٥- التخصص:

نظراً لاتساع المجتمع الحضري وكثافته السكانية العالية وتزايد حاجاته ومتطلباته ازداد التخصص في العمل ليلبي حاجات هذا المجتمع المتغير والمتزايد في السلع والخدمات وسيولة الاموال وشيوع الثقافة الاستهلاكية وكذلك تزايد نمط الانتاج لوجود المصانع والمعامل والورش الفنية واتساع الاسواق مما يضطر المجتمع الحضري الى ايجاد تنظيم اجتماعي معقد يتصف بالتخصص وتقسيم العمل.

٦- الارتباط على اساس المصالح.

بما ان المجتمع الحضري مجتمعاً عقلياً ومادياً لذلك انعكست هذه الخصائص على نوعية العلاقات والتفاعلات الاجتماعية اذ اصبحت العلاقات تتم بخاصية الترابط على اساس المصالح اكثر من الترابط على اساس التودد والرحمة والشفقة وذلك واضح بين علاقات الاصدقاء والجيران وزملاء العمل وبلجاً الشخص في المجتمع الحضري الى مؤسسات ومنظمات تكون بديلة عن علاقات الجوار والمحلة (منطقة العيش) ويكون هذا الارتباط قائماً على اساس المصالح والمنفعة والغايات المرسومة المخطط لها.

٧- توفر السلع والخدمات والتسهيلات:

عدم التجانس الاجتماعي وزيادة الكثافة السكانية وكبر حجم المجتمع الحضري والتطورات الاقتصادية والسياسية جعلت المجتمع الحضري بحاجة الى توفير التسهيلات وزيادة السلع والخدمات المتنوعة التي لا تتوفر في المجتمع الريفي ومن هذه الخدمات والتسهيلات النوادي الاجتماعية والمكتبات والمسارح والمستشفيات والقاعات المختلفة لتسيير نمط الحياة الحضرية مثل قاعات المناسبات (الافراح والاحزان) والقاعات الرياضية وغيرها.

٨- التفاعل الرسمي والعلاقات الباردة:

التفاعل الانساني في المجتمع الحضري يكون على اساس رسمي أي التفاعل من خلال الكتب الرسمية والمعاملات الوظيفية المهنية الرسمية وكذلك من خلال وسائل الاتصال والاعلام المتقدمة التي تحكم علاقاتهم لذلك تكون العلاقات

الاجتماعية وتفاعلاتها فاترة وباردة في المودة والشفقة والحنية تنظمها وتحكمها العلاقات الرسمية المبنية على الانظمة والقوانين واللوائح. (١٣)

• الاسرة الحضريه وضعف الضوابط العرفية

تتصف طرق التفكير واسلوب الحياة في المجتمع الحضري بالعقلانية والحرية والخصوصية النسبية التي انعكست على عدم التزام الاسرة الحضريه بالاعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع المحلي الريفي مما افقدها قوة تلك الضوابط العرفية التي كانت سائدة في المجتمع المحلي الريفي على الرغم من رسوخ تلك الاعراف والتقاليد في التراث الثقافي والاجتماعي في المجتمع الحضري لذلك نجد الاسرة الحضريه تخضع في ممارساتها وسلوكياتها الى تلك الطرق في التفكير واسلوب الحياة الخاص بها مما يعطيها نمطاً خاصاً غالباً ما يتسم بضعف الضوابط العرفية.

وتضعف الضوابط العرفية:

- ١ - كلما تحضر المجتمع.
- ٢ - عندما يتصنع.
- ٣ - عندما تطغى الماديات على المعنويات في طرق تفكير الناس وتعاملهم بعضهم مع بعض.
- ٤ - عندما لا تركز الاسرة في تنشئتها لأبنائها عليها.
- ٥ - عندما تتكاثر التنظيمات الرسمية .
- ٦ - عند حدوث حرب اهلية او خارجية.
- ٧ - عندما تحصل فجوة كبيرة بين الطبقة الفقيرة والغنية وتستغل الاخيرة الاولى.
- ٨ - عندما يطغى الاستهلاك المظهري على الروابط الاجتماعية.
- ٩ - عندما يحصل تفكك اسري.
- ١٠ - عندما يحصل التفكك الفردي (سيادة النزعة الفردية والتحلل الفردي).
- ١١ - عندما ينتشر الفساد بين اعضاء الفئة الحاكمة والمثقفة.
- ١٢ - عندما يستغل القوي الضعيف ويسخره لخدمته.
- ١٣ - عندما تنتشر الجهولية بين افراد المجتمع.
- ١٤ - عندما تكون هناك مغريات (مادية أو معنوية) اقوى من قوة الضوابط الاجتماعية.
- ١٥ - عندما يكون الفرد بعيداً عن الرقيب الاجتماعي اي منعزلاً عن الناس^(١٤).

رابعاً: تحديات تواجه الضبط الاسري الحضري

١ - اساليب التربية المعاصرة:
التربية وسيلة يلجأ اليها المجتمع لضمان استقراره واستمراره بغرس الانماط الثقافية تحقيقاً لاليات ضبطية تضمن انضباط ابنائها وفقاً لمتطلبات الحياة الاجتماعية وتعتمد التربية على جانبين مهمين هما:

الاول: الجانب الموروث / والذي يعتمد على ما يتناقله الاجيال من قيم واعراف اجتماعية يكون التقليد والايحاء عنصراً مهماً فيهما.

الثاني: الجانب المكتسب/ وهو يعتمد على التحصيل الاجتماعي الذي يعتمد على المهارات الشخصية كالذكاء والتعليم والثقافة وغيرها، وكلا الجانبين يعملان على تهذيب السلوك وتوجيه التفكير وللترربية وظائف مهمة ساعد التغيير والتحضر على تقليص وتوجيه بعض هذه الوظائف وفقاً لما يتلائم وروح الحضريه المعاصرة ومنها:

- أ - نقل الانماط التربوية والسلوكية من جيل لآخر بعد تعديل غير المناسب منها.
- ب - نقل التراث الثقافي الاجتماعي و تعديل مكوناته باضافة ما يفيد والاستغناء عن غير المفيد.

(١٣) د. سعيد احمد هيكال، علم الاجتماع الحضري، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن - عمان، ٢٠١١، ص ١٦١-١٦٤.
(١٤) د. معن خليل العمر، الضبط الاجتماعي- اساقفه ونظمه، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، ٢٠٠٦، ص ١٤٨-١٤٩.

ج- تعليم الأشخاص خبرات ومهارات اجتماعية معاصرة مستثمرة المعلومات الثقافية الحديثة تتفق مع قيم ومعتقدات ونظم وسلوك المجتمع الذي يعيش فيه^(١٥).

وبما ان المجتمع في صورة تغيير وتحضر مستمر فلا بد من تنمية اليات تربوية تساهم في تدعيم الضبط الاجتماعي بما يتلائم روح العصر دون المساس بالثوابت الاجتماعية والاسرية كاحترام دور الوالدين ومكانتهما الاجتماعية والاسرية لردم الثغرة التي يمكن ان تحصل بين الاجيال فمن الملاحظ ان التحضر في المجتمع يساعد على تغييب او نقص بعض الاعراف الاجتماعية الموجودة و احياناً التشكيك فيها فتصبح الاعراف والمعايير الاجتماعية الضبطية القديمة غير صالحة للتطبيق ولا سيما ان غالبية من الاسر تعاني من مشكلة التثبث ببعض العادات والاعراف القديمة دون العمل على تطويرها وجعلها ملائمة للحياة الحضرية المعاصرة. كما ان بعض الاسر الحضرية تعيش في اجواء الديمقراطية الشكلية اي تطبيق الديمقراطية في الاسرة في حالة الوعظ والارشاد وتطبيقها في المسائل الاسرية اليسيرة السهلة او الاعتيادية وغيابها في الفعل الحقيقي في كل ما يواجه الاسرة من مصاعب واتخاذ للقرار ويؤخذ على التربية الاسرية المعاصرة شيوع ثقافة الاستهلاك الاسري الذي بات عامل ضبط على الاسرة وثغرة في الضوابط الاسرية ولا سيما عندما يتعود الابناء على نمط تربوي استهلاكي ويتم منعهم او حرمانهم من هذا الامتياز لأي سبب او ظرف تمر فيه الاسرة مما ينتج عنه سلوكيات غير محسوبة من قبل الابناء قد تؤدي بهم الى الانحراف بسبب الضغوط التي تمارسها هذه الثقافة بسبب صفاتها المتمثلة بالطابع القهري لأنها تدفع الاسر الى الاستهلاك وتقليد الاخرين وذلك لشعورهم بالتقليد والغيرة والتباهي والرغبة في التعويض ولا سيما ان هذه الثقافة متغيرة بشكل مستمر وتعرض سلع وخدمات متطورة وجذابة^(١٦).

وتوجد اساليب للتربية المعاصرة منها:

- ١ - الاسلوب المتوازن في المعاملة الاسرية وتربية الابناء اي عدم الميل الى الشدة المفرطة او الدلال الزائد.
- ٢ - اتباع الاسلوب الديمقراطي البناء وتفعيل ثقافة الحوار الاسري الذي يحترم ويقدر حقوق الجميع وزرع الثقة بين افراد الاسرة.
- ٣ - وضوح قوانين الثواب والعقاب وعدم التحير و التعصب لاحد افراد الاسرة ويكون العقاب في الاسرة اساسه التأديب وليس التعذيب والانتقام.
- ٤ - العمل على تطوير مهارات الابناء وتدعيمها بالوسائل التربوية الحديثة كاستخدام وسائل الاتصال مثل الكمبيوتر وغيرها بطريقة سليمة وصحيحة وبملاحظة الوالدين^(١٧)
- ٥ - التعاون المستمر والبناء بين الاسرة والمدرسة ومراقبة الابناء والنصح والارشاد في اختيار الاصدقاء ولاسيما الابناء الاحداث وعدم جعل ملاحظة وتعاون الاسرة مع المدرسة بشكل استفزازي او تجسسي.
- ٦ - خلق القدوة الحسنة داخل الاسرة بالابتعاد عن جميع المشبهات والسلوكيات المشينة وان تكون سلوكية القدوة واضحة عن طريق العمل والتطبيق وليس على النصح والوعظ والارشاد.

كما ان هناك معوقات في اساليب التربية الحضرية تساهم في تراخي وضعف وجود خلل في الضبط الاجتماعي داخل الاسرة الحضرية منها:

- ١ - اختلاف وجهات النظر بين الوالدين كأن يؤمن ويميل الاب بالديمقراطية واللين والتسامح وارساء ثقافة الحوار الاسري بينما تميل الام وتعتقد بالشدّة والصرامة والديكتاتورية في اتخاذ القرار وعدم التسامح^(١٨)
- ٢ - الانهماك في العمل لكلا الوالدين او احدهما بحيث يصعب مراقبة وفهم الابناء بشكل يومي ومستمر.
- ٣ - وجود عوامل تؤثر سلباً على تقبل الابناء لأساليب الضبط في اسرهم لما يستقبلون من ثقافة مختلفة متدفقة عبر وسائل الاتصال الحديثة مدعومة بالمشاهد بطرق جذابة.
- ٤ - التطفل الاسري لاحد الوالدين كان تكون مثلاً الام المعيلة الاقتصادية_ المادية للأسرة وهي التي تقوم بالرعاية الاسرية الاجتماعية وانسحاب الاب من هذه المهمة التربوية - الضبطية وانغماسه بالملذات او الادمان على الخمر او المخدرات او قضاء وقت فراغ سلبى كأن يكون اغلب اليوم نائماً او في المقهى او يخرج مع الاصدقاء.

(١٥) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الموقع الالكتروني Ar. Wikipedia.org/wiki.

(١٦) د. على عبدالرزاق جلبي وآخرون، القاموس العصري في العلم الاجتماعي، مطبعة البحيرة، مصر، ٢٠٠٨، ص ٧٠.

(١٧) الموقع الالكتروني www.almurabbi.com

(١٨) الموقع الالكتروني www.hayah.cc.forumit

استطاعت ثورة الاتصالات والمعلومات بفضل التطور الكبير ان يزيح الحدود ويقرب المسافات ويغير بل ويهدم بعض القيم والمعايير والمفاهيم الاجتماعية والثقافية واصبحت وسائل الاتصال تنزاد اهميتها وخطورتها في تشكيل وعي الناس وثقافتهم وانمائهم وولائهم الاجتماعي والثقافي يقابل ذلك جمود وتناقض البناء الاجتماعي التقليدي وبهذا اصبح دور وسائل الاتصال المعاصرة فاعلاً أساسياً في عمليات الضبط الاجتماعي والتغيير الاجتماعي^(١٩)

لذلك لم تعد الاسرة المحرك الاساسي في عملية انتاج القيم او وضع المعايير الاجتماعية والثقافية بل اصبحت وسائل الاتصال المعاصرة هي المحرك ان لم تقل الاساسية فهي المهمة بجميع اذرعها المتمثلة في الفضائيات والانترنت والهاتف النقال وغيرها واصبحت وسائل الاتصال المعاصرة تقدم قيماً ومعاييراً موازية او تكاد تكون معارضة لتلك التي تقدمها الاسرة والثقافة المحلية مما اثرت وغيرت في سلوكيات اساسية داخل اطار الاسرة مثل عملية اتخاذ القرار وهيكلة السلطة وميزانية الاسرة وغيرها، ويرى العالم (برمان ماركوس) ان الاسرة والتعليم والدين كمؤسسات صارت اقل فاعلية في تربية الاجيال وضبط سلوكهم اذ اصبح العالم اكثر تعقيداً وفي غياب او ضعف السلطات التقليدية حيث اصبح الاعلام يعطينا افكاراً ومعاييراً في الاخلاق والسلوك والاسلوب بشكل يجعله اكثر فاعلية كمرشد او موجه اجتماعي^(٢٠).

حتى باتت معايير نجاح الفرد ومكانته الاجتماعية ينظر اليها على اساس ما يحققه الفرد من مكاسب مادية بغض النظر عن مرجعية ومصدر هذه المكاسب حتى وان كانت غير شرعية وغير مقبولة اجتماعياً فالميكانيزمات التي تربط الفرد بالمجتمع قد تغيرت فلم تعد قيم الامانة والصدق والصبر هي اليات النجاح وهي المحفز او القيم التي ينصاع اليها الافراد بل اصبح التقييم واليات النجاح لدى الناس تقيم على اساس ما حصل وما يمتلك الافراد من اجهزة مادية واثاث وسيارات ونفوذ ومكانة اجتماعية^(٢١).

هذه الحركية الاجتماعية / الاتصالية التي غيرت من نظرة الناس الى ذواتهم والى الاخرين بمنظار لم يكن معتاداً ولاسيما بعد تحطم القيم والمعايير التقليدية وبزوغ التجاذب والتخدير الفضائي. جعلت الفرد يجد نفسه في وضع مفارقة فمن جهة تزداد رخاوة القيم وتهميش المعايير التقليدية وتضعف الضوابط الاجتماعية ويضعف الوسطاء الشرعيين انفسهم كقائمين على الضبط الاجتماعي من اباء ومربين ومتقنين ومن جهة اخرى تتكثف ذاتية الافراد وتزداد جاذبية التفاعل والتواصل الافتراضي وقد نحس بهذه الحركية الاجتماعية الاتصالية المفارقة^(٢٢) في توسيع الفجوة الاجتماعية الثقافية ما بين الالاء والابناء وما بين الثقافة المحلية وبين الثقافة الافتراضية الاتصالية التي غيرت شكل التفاعل الاجتماعي الاسري من الحوار والمحادثة المباشرة الى التواصل الافتراضي عبر الانترنت (الفيديو بوك- الهاتف الجوال- وغيرها) بحيث نستطيع القول ان حركية الضبط الاجتماعي الاسري الحضري يتجه من ضبط الجماعات المشتركة (الضبط التقليدي) الى ضبط الفضائيات والجماعات الافتراضية. ونستطيع القول ايضاً ان هذا يتضح كلما تطورت المجتمعات وتعمقت وبالحضرية وزادت استخدامات التواصل الاجتماعي وتطورت عبر وسائل الاتصال المعاصرة مما ينتج عنه تعدد الادوار الاجتماعية وتغيير وتنقل وظائف الاسرة ليصبح اداء الاسرة شأنًا شخصياً واستقلالياً وفردياً مما يهمل الوسائل الضبطية الاسرية التقليدية وهذا ما يزيد من صعوبة مهمة الوالدين ولاسيما في الرقابة الاسرية و الضبط الاسري.

٣ - الانهماك في العمل :

الحياة الحضرية بطبيعتها معقدة في جميع مجالاتها والاسرة اصبحت ضحية لهذه الحياة التي تزداد فيها الميول نحو الفردانية والاستقلالية والتغير في وظائفها حتى اصبحت الاسرة الحضرية اسيرة متطلباتها التي لا تشبع ولا تنتهي مما كرس فيها الثقافة الاستهلاكية (Consumer Culture) التي بدورها اجبرت رب الاسرة (الزوج/ الزوجة) ان يهتم في العمل لتحقيق المطالب الاسرية المتزايدة. هذه الثقافة التي تظهر المعاني المصاحبة للاستهلاك بداية من تبلور الرغبة في الاقتناء والاستهلاك مروراً بالاستهلاك الفعلي، وقد اشار علماء الاجتماع والانثروبولوجيا في بحوثهم الى خصائص الثقافة

(١٩) د. هيثم مناع، دور الاعلام في ديمقراطية المعرفة، دمشق، سوريا، الاهالي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ٤٩.

(٢٠) سميرة سطوطاح، دور وسائل الاعلام في تشكيل القيم التربوية داخل الاسرة الجزائرية، مجلة علوم الاجتماعية، العدد (٨) ٢٠٠٩، ص....

(٢١) د. رباح مجيد الهيتي، ثقافة الفساد الاداري في العراق، مسارات للتنمية، بيروت-بغداد، ٢٠١٢، ص ٤١.

(٢٢) عادل بن الحاج رحومة، تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضائيات الاتصالية والمعلوماتية، مجلة اضافات -المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد التاسع، ٢٠١٠، ص ٢٤٢.

الاستهلاكية والتي من بينها انه مادية تهتم باستهلاك السلع المادية وغالباً ما تنظر الى المتعة والرفاهية كصور ذهنية تمثل مصادر اساسية لها كما تتميز الثقافة الاستهلاكية بالتغير السريع نتيجة تدفق السلع والمنتجات التجارية وتطويرها باستمرار فضلاً عن ما تخلفه من تناقض بين الواقع والطموح والأمال المتصاعدة التي تربط المستهلكين بعلاقات مستمرة مع الانتاج المستمر، كما وتتصف الثقافة الاستهلاكية بالطابع القهري لأنها تشجع الناس وتدفعهم الى التقليد والاستهلاك وذلك لتزايد الشعور والاحساس بالغيرة والرغبة في التعويض والاقتناء^(٢٣) كل هذه التعقيدات جعلت من ارباب الاسر ان تنهمكوا في العمل من اجل التعويض والتسابق مع الزمن ولاسيما عندما يكون الاحساس عند هؤلاء ان السعادة والراحة الاسرية تتحقق بتحقيق الرفاهية المادية لذلك نجد مثل هؤلاء ينغمسون في العمل وينهمكون وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً.

ان التركيز على هذا النوع من الرؤيا للحياة واسقاطها على الاسرة يفقد هؤلاء الأشخاص الرؤيا الاستراتيجية مما يكون سبباً في الاخفاق الاسري ولاسيما في مجال الضبط الاسري لذلك يجب استغلال بعض الوقت لتسخيره في الحياة الاسرية الوجدانية والاهتمام بتفاصيل الاسرة لان التنظيم الجيد للحياة ما بين العمل والاسرة لا يعني تضيق الوقت او اهدار فرص العمل.

ويرى عالم الاجتماع الالماني (ويرنر سومبارت) ان القيم المادية في المجتمعات الحضرية الرأسمالية هي التي تتحكم في المجتمع ولا سيما قيمة التملك عند الانسان وقد شبه سومبارت النزعة الى التملك في المجتمعات الحضرية الرأسمالية عند اصحاب رؤوس الاموال ورجال الاعمال واصحاب المشاريع التجارية والصناعية الى غريزة الاطفال في تملكهم للاشياء ثم سحب هذا التشبيه على باقي افراد المجتمع الحضري الرأسمالي. ويرى (سومبارت) ان المجتمع الحضري الرأسمالي يمنح ويعطي الافراد الاثرياء واصحاب الاملاك مكانة اجتماعية واهمية عالية تميزهم عن غيرهم في المجتمع. هذه القيمة الاجتماعية ذات النزعة المادية للأعبارية التي يقيم بها المجتمع افراده انتبه اليها الاثرياء واصحاب رؤوس الاموال فاندفعوا نحو تجميع الثروات وزيادة مصادر الثروة وزيادة ارباحهم من اجل رفع مكانتهم واهميتهم الاجتماعية وتقوية نفوذهم الا ان هذا التوجه المادي والاندفاع الكبير له عن طريق الانهماك في العمل سببت اوضاعاً اجتماعية مرضية ولاسيما عند فاقد الثروة والمال والمكانة والنفوذ الاجتماعي فاصبح الجميع في المجتمع الحضري الرأسمالي يبحث عن المال والثروة التي غالباً لا يمكن الوصول اليها الا من خلال العمل والمثابرة والمنافسة فاصبحوا يبالبغون في قضاء اوقاتهم وانهمكهم في العمل مضحين بصحتهم وراحتهم وحتى علاقاتهم باسره من اجل استغلال الوقت وعدم اضاعته من اجل انتفاعهم وتلبية مصالحهم المادية وزيادة ارباحهم مما اصبحوا تبعية عملهم وعبداً له لدرجة انهم اجهدوا فكرياً وعضلياً من اجل الحصول على المال الامر الذي ادى هذا الانهماك في العمل ان يهدمهم قيمياً ووجدانياً واضعف فيهم الحس الانساني مما ابعدهم عن زوجاتهم وابنائهم وعن مشاركتهم بالحياة الاجتماعية الطبيعية مما اصيب الكثير منهم بامراض نفسية وعصبية واجتماعية وابتعدوا عن المشاعر الوجدانية والعاطفية وتبدلت احساسهم بالجماعات التي يعيشون معها. يتضح ان درجة الانهماك في العمل وقضاء وقت كبير ومبالغ فيه من اجل الاستحواذ على المال والثراء المادي في مجتمع بالغ بشدة في احترامه وتقديره لقيمة العمل من اجل الثراء ووضعها فوق قيمة الانسان المعنوية وحياته الاجتماعية هذه المبالغة التي اعطت للقيم المادية كل التقدير الاجتماعي على حساب القيم الانسانية والاجتماعية نتج عنها المعادلة الاتية:

(مبالغة في احترام العمل ← من اجل الحصول على المال والثراء ← من اجل الحصول على تقدير اجتماعي مرموق لكنه ← مقتطع اسرياً ومريض عصبياً ونفسياً واجتماعياً).

هذه المعادلة توضح لنا المشاعر الانسانية المجردة والقائمة على تقديس المال والعمل على حساب العلاقات الاجتماعية والاسرية^(٢٤)

والتي قد سادت في المجتمعات الحضرية الرأسمالية التي تعطي قيمة العمل والثراء المكانة والنفوذ على حساب الاسرة مما ادى الى خلل في وظائف الاسرة ولاسيما الضبطية والتي تتعلق بمهام ووظائف ارباب الاسر ونتج عنه انحرافات اجتماعية وامراض نفسية كثيرة.

(٢٣) د. علي عبدالرزاق جلبلي واخرون، مصدر سابق، ص ٧٠.

(٢٤) د. معن خليل، البناء الاجتماعي- انساقيه ونظمه، مصدر سابق، ص ٢١-٢٣.

خامساً : الاستنتاجات والمقترحات

استنتاجات

نتيجة لتطور الحياة الحضرية وتعقدتها التي أصبحت تضغط على جميع مجالات الحياة ومن بينها الاسرة التي باتت تهتز وظائفها الاساسية امام التشابكات والتعقيدات الحضرية في ثقافتها المادية والمعنوية مما انعكس بشكل بارز على مهمتها الضبطية التي اعطتها خصوصيتها واختلافها عن العصور السابقة والتي ابرزت فيها بشكل كبير سمات الفردانية والاستقلالية الشخصية والتبعية الفكرية والاخلاقية لمجتمعات اخرى مما ساهم بشكل كبير في اضعاف هذا الضبط الذي كان اساساً في تنظيم الحياة الاسرية لقد أُخترقت الاسرة الحضرية خاصة واصبحت المهمات الضبطية تابعة لغزو الثقافات الاجنبية الوافدة عبر ما يسمى بالانفتاح الحضاري وعصر العولمة مما ادى الى تفكيك البنى التقليدية للمجتمع المحلي هذه الاختراقات الخطيرة اصبحت تطرح العديد من الاشكالات العميقة التي تبين الاختلالات الثقافية المحلية والاسرية وعدم تجانسها بل وتنافسها وتصارعها مع الوافد من الثقافات الاجنبية الخارجية والتي اصبحت تشكل تحديات حقيقية تحول دون بلوغ الاسرة استقرارها وتنظيمها وضبطها الذي كانت عليه سابقاً واذا ما تتبعنا عملية التغير وديناميكيته في اطار الاسرة الحضرية فاننا سوف نلاحظ ان ظاهرة ضعف الضبط الاجتماعي في الاسرة الحضرية باتت بارزة وعميقة مخلفة وراءها الكثير من المشاكل الاسرية ناهيك عن التحول والتغير في بناء الاسرة نفسها وطبيعة علاقات افرادها بعضهم ببعض وطبيعة علاقات الاسرة بالمجتمع الاجتماعي الذي تعيش فيه.

ونقدم على سبيل المثال بعض من مظاهر الحضرية وانعكاساتها على الضبط الاسري وهي بالطبع كثيرة لكن سنوجز البعض على سبيل المثال ووفقاً للمتغيرات والمؤشرات التي ركزنا عليها في بحثنا هذا: ففي مجال التربية الحديثة نجد ان تعليم الوالدين الخصوصية والاستقلالية والانفتاح والديمقراطية لأبنائهم اصبح عائقاً في بعض الاحيان امام سيطرة الاباء على الابناء وان هذا التعليم اصبح (سلاح ذو حدين) ولاسيما اذا تجبر الابناء وفهموا الديمقراطية والخصوصية من منظور ضيق مما اعاق التفاهم بين الوالدين ولاسيما في اتخاذ القرار بالمسائل الشخصية وربما يتجاوز الابناء ادوارهم واحترامهم للوالدين اذا ما تضاربت المصالح ولم يعد الاب هو الراعي الحقيقي للابناء، ربما نجد ذلك بصورة شكلية وقد يؤدي ذلك الى انفلات الابناء وعدم انضباطهم لتعاليم الاسرة وتحقيق اوهانهم ورجباتهم وفقاً لمصالحهم دون اعتبار لقيمة ومكانة الاسرة.

ولو اخذنا روح الجيرة في المجتمع العراقي قديماً وحديثاً نجد ان هذه الروح فقدت وظائفها ولاسيما على مستوى الضبط الاسري فقد كان الجار سابقاً يمثل عمقاً ثقافياً واجتماعياً ويمارس نفوذه وقوته من مكانته باعتباره جاراً يمثل عامل ضبط اجتماعي واسري له قيمته الاعتبارية، اما في الوقت المعاصر ولاسيما في المجتمع الحضري فقد اصبح الجار يمثل موقعاً جغرافياً فقط فهو يسكن بجوار اسرة جارة ولا يمثل أي قيمة اعتبارية لما تعيشه الحياة الحضرية من فردانية واستقلالية عالية تمنع الجار من التدخل في شؤون جارة ولأبسط الاشياء بعد ان كان يمثل قيمة اعتبارية كدور الاب والابن الاكبر وغيرها.

اما في مجال استخدامات وسائل الاتصال المعاصرة من قبل الاسرة فقد اعطت هذه الوسائل خصوصية تامة مما نتج عنها انعزال تام بين افراد الاسرة الواحدة فنجد ان استخدام افراد الاسرة لجهاز الانترنت مثل (فيس بوك Facebook) وجهاز (الهاتف النقال Mobile) كل على حدة وانفراد مما جعل الاسرة تعيش في مكان يجمعهم جسمانياً لكنهم مفترقين وبعيدين ومغتربين روحياً ووجدانياً اذ كل فرد من الاسرة منعزل ومتفاعل مع الجهاز الخاص به وجماعته الخاصة والتي قد تكون بعيدة عنه بمسافات ابعد من حدود الدولة او المجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل بشكل كبير معهم وربما مع اشخاص وهميين تاركاً اسرته غير مهتماً بها جاعلاً علاقته وتفاعلاته معها تتم ببرود ولامبالاة.

وفي مجال الانهماك في العمل نجد ان العمل الطويل ولاسيما خارج ابيت اثر على العلاقات الاسرية وازدادت متطلبات الحياة والمجتمع مع زيادة العمل فاصبح العمل يجهد الانسان ويسلبه راحته وبنفس الوقت يتسابق الانسان من اجله بسبب متطلبات الحياة الحضرية المتزايدة فاصبح وقت الانسان مُلك للعمل وليس للانسان نفسه واسرته مما جعل الفرد ينقل مستلزمات وواجبات عمله من خارج البيت الى داخله فاصبح البيت مكتب عمل وليس مكاناً لراحة الاسرة مما جعل العمل مملاً ومزعجاً لافراد الاسرة والذي انعكس على ضعف اداء الضبط الاسري وساهم في توتر العلاقات الاسرية.

يتضح مما سبق ان المظاهر الحضرية وانعكاسها على الضبط الاسري تتجلى في مؤشرات اهمها:

- ضعف العلاقات الاسرية وجمود التفاعل الاجتماعي الاسري فيما بين اعضاء الاسرة الواحدة.

- حركية الانتماء والولاء من الاسرة والثقافة المحلية الى الجماعات الافتراضية.
- الاستقلالية الفجة والعزلة والملل والضجر و التوتر والاحباط يخيم على الاسرة نتيجة للمبالغة في المرونة المتخذة في اساليب التربية الحديثة ونتيجة لاختراق وسائل الاتصالات المعاصرة للأسرة والاسراف والالتزام والافراط في العمل على حساب الاسرة.
- الفشل الدراسي للابناء.
- ضعف العلاقات القرابية وضعف الالتزامات والعلاقات المحيطة بالجماعات الاخرى مثل الجار والاصدقاء.
- الخلافات والمشاجرات والتشنجات في العلاقات الزوجية.
- الانحرافات الاخلاقية الاسرية نتيجة الاهمال الصادر عن اختراق وسائل الاتصال للأسرة والانهمك في العمل خاصة.

المقترحات

- ١ - توجيه الاباء والمسؤولين عن الاسرة الى ضرورة الالتزام بالمبادئ الاساسية للنظم الاجتماعية عن طريق الفهم والاقناع ولاسيما فيما يتعلق بالنظام الديني والاقتصادي والتربوي.
- ٢ - ضرورة الالتزام بصنع قدوة حسنة داخل الاسرة على ان يتحلى هذا القدوة بالاتزان والالتزام عملياً في السلوك وليس الاعتماد على النصح والارشاد ومخالفة ذلك مما يكون لدى افراد الاسرة التناثر في المفاهيم والسلوك.
- ٣ - اقناع افراد الاسرة ان المصلحة العامة غالباً تقدم على المصلحة الخاصة وتعليمهم التنازل عن بعض الامتيازات بصورة ودية من اجل استمرار العلاقات الاسرية بشكل افضل.
- ٤ - اعتماد اسلوب الديمقراطية الترشيدية(*) في الاسرة والتي تعتمد على احترام الجميع والتنازل عن بعض الامتيازات اذا كانت تتعارض ومصلحة الاسرة بطريقة الاقناع والفهم.
- ٥ - ضرورة التعليم والتدريب وتنمية المهارات التكنولوجية والتقنية للابناء في جميع مجالات التربية ومنها وسائل الاتصال المعاصرة على ان تتم وفق برنامج معد من الاسرة تكون فيه مساحة من الرقابة الابوية والترشيدية في الاستخدام عن طريق الفهم والاقناع.
- ٦ - التعامل بعقلانية مع التغيرات الاجتماعية والثقافية وعدم الانصياع بشكل فجائي مع التطورات الاجتماعية والتقليل من الاستهلاك بما يخدم الاسرة فعلياً .
- ٧ - ضرورة احترام العمل وعدم المبالغة فيه على حساب النفس (الذات) او على حساب الاسرة.

(*) نقصد بالديمقراطية الترشيدية ان نسمح للابناء بالمشاركة بالحوار الاسري وصنع مستقبلهم على شرط حفظ هيبة الاباء والمسؤولين عن الاسرة بالاحترام والفهم والتضحية بدون الانصياع وراء الديمقراطية المنفتحة كما هو عند الغرب أي ترشيد الادوار الاجتماعية لتتسق مع الثقافة المحلية.

المصادر

- ١- د. احسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن- عمان، ٢٠٠٩.
 - ٢- د. احمد ابوزيد، البناء الاجتماعي- مدخل لدراسة المجتمع- الانساق، ج٢، مطبعة م.ك، الاسكندرية، ١٩٦٧.
 - ٣- د. هيثم مناع، دور الاعلام في ديمقراطية المعرفة، دمشق- سوريا، الاهالي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
 - ٤- د. معن خليل عمر، البناء الاجتماعي- انساقه ونظمه، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ١٩٩٢.
 - ٥- د.معن خليل العمر، الضبط الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن- عمان، ٢٠٠٦.
 - ٦- د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٦.
 - ٧- د. سامية محمد جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، دار بور سعيد للطباعة، ١٩٨٤.
 - ٨- د. سامية محمد جابر، علم الاجتماع المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩.
 - ٩- د. سعيد احمد هيكل، علم الاجتماع الحضري، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن- عمان، ٢٠١١.
 - ١٠- سميرة سطوطاح، دور وسائل الاعلام في تشكيل القيم التربوية داخل الاسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد (٨)، ٢٠٠٩.
 - ١١- عادل بن الحاج رحومة، تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضائيات الاتصالية والمعلوماتية، مجلة اضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد التاسع، ٢٠١٠.
 - ١٢- د. عبدالعاطي فرج علي، الضبط الاجتماعي دراسة في سوسيولوجيا المفهوم، مجلة العلوم الاجتماعية - مجلة الكترونية، الدخول ٢ مارس ٢٠١٥. على الموقع الاتي: www.swmsa.net
 - ١٣- د. عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار اسامة ودار المشرق الثقافي، عمان - الاردن ، ٢٠١٠.
 - ١٤- د. علي عبدالرزاق جلبي وآخرون، القاموس العصري في العلم الاجتماعي، مطبعة البحيرة، مصر، ٢٠٠٨.
 - ١٥- د. قباري محمد اسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، مطبعة الكاتب المصري، الاسكندرية، بدون سنة طبع.
 - ١٦- د. رباح مجيد محمد الهيتي، ثقافة الفساد الاداري في العراق، مسارات للتنمية، بيروت- بغداد، ٢٠١٢.
 - ١٧- ذكرى جميل محمد حسن البناء، العائلة والامن الاجتماعي دراسة ميدانية في مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، قدمت الى مجلس كلية الاداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
- 18- Ar.wikipedia.org/wiki. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة
- 19- www.hayah.cc/forum/t84925.html
- 20- www.almurabbi.com.